اليرموك ، (إربد) ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ .

دائرة الضوء

قراءات في النقد المعاصر

العالم والنص والناقد

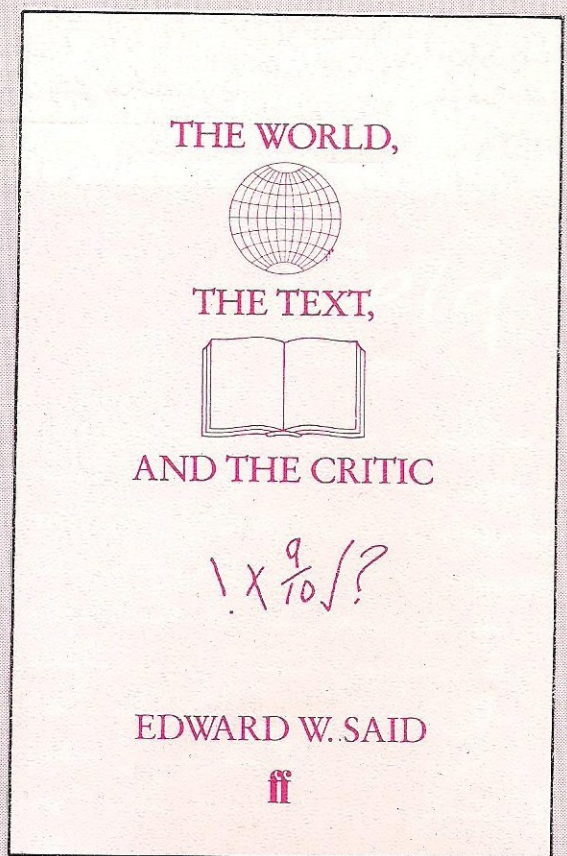

أقواس:

«انني انظر الى النقد بدرجة من الجدية تصل الى الاعتقاد بانه حتى في قلب المعركة، حيث يكون المرء وعلى نحو واضح مع هذا الجانب ضد الجانب الآخر، ينبغي ان يكون هناك نقد، لأنه يجب ان يكون هناك وعي نقدي اذا ما وجب ان يكون هناك قضايا ومشكلات وقيم وحيوات يجاهد من أجلها».

«المفارقة أننا نخبر تلاميذنا ودائرة قرائنا العامة اننا ندافع عن الروائع، عن فضائل التعليم الحر، ومتع الأدب العالية حتى عندما نبدو صامتين او ربما غير مؤهلين ـ للحديث عن العالم الاجتماعي والتاريخي اللذين تأخذ فيهما هذه الأشياء مكانها».

«الارتباط هو ما يمكن النص من حفظ نفسه كنص، وهذا يغطي بمجال من الظروف، مكانة المؤلف، اللحظة التاريخية، شروط النشر، التوزيع والاستقبال، القيم المستوحاة، القيم والأفكار المفترضة، إطار من الافتراضات الضمنية المعتنقة بإجماع، خلفية مفترضة، وهكذا».

الكتاب:

تستطيع ان تشير اليه على أنه صاحب «الاستشراق» او «بدايات: قصد ومنهج) دون ان تخشى على من تحدثه ان لا يميز من عنيت، فادوارد سعيد حضور كبير في الولايات المتحدة الأمريكية واوربا، وهو واحد من أبرز أعلام النقد الطليعي، ان لم يكن شيخ نقاد ما بعد البنيوية ـ أولئك النفر من النقاد الذين حاولوا، وبنجاح، المزاوجة بين عصارة النقد الأنكلو ـ امريكي من جهة، وخلاصة الفكر الأوروبي الحديث، مع المحافظة على صوته المميز الذي يرى في النقد قوة ايجابية ملتزمة بجانب دفع الظلم وتطوير نوعية الحياة الانسانية، و يرى في الناقد «حارساً» للثمين من قيم المجتمع ومثله ومبادئه التي تحفظ عليه حياته.

ولذلك فانه ليس ثمة من غرابة ان تجد ريتشارد بو بريير يهمس في اذن قارىء كتاب «بدايات».

«ان تفهم (بدايات) سعيد معناه ان تفهم ما هو أكثر أهمية مما يجري في النظرية النقدية المعاصرة في امريكا وأوربا كلتيهما. انه كتاب مفعم بالفائدة لواحد من أكثر نقادنا تألقاً».

وادوارد سعيد من جهة اخرى لا يكتفي بتطبيق رؤيته النقدية على المادة الأدبية او النصوص الأدبية، وحدها، بل يمتد بها لتشمل التقاليد الثقافية الأخرى، و يطور من ذلك نماذج واعدة من التحليل الايديولوجي الذي يربط ما بين النص ـ الانشاء الفردي ـ وما بين النظام الفكري الذي انتجه، او ما بين النص وعالمه الذي أنجبه، ربطاً يفيد من البنيوية وما بعد البنيوية، ومن اللغويات والسيميائيات والماركسية وغيرها، و يتجاوزها جميعاً. وماذلك الا لأن هذه النماذج قادرة، وكما أثبتت دراسات سعيد العديدة، على اضاءة جوانب خفية في مظاهر الثقافة العالمية المعاصرة.

و بسبب كون كتابات ادوارد سعيد على درجة كبيرة من الاثارة والاشكالية، فانها تفتح آفاقاً غير محدودة للنقاش والحوار، وتولد اهتمامات متشعبة. وحسبنا ان نستشهد برأي احد مراجعي كتاب «الاستشراق» في صحيفة «الاوبزيرفر» البريطانية باتريك سيل الصحفي العالمي المعروف الذي يصف الكتاب بأنه: «مقالة مثيرة أنيقة، ولكنها مشاكسة ولوعة بالخصام، وهي لذلك سوف تطلق القطة بين الحمائم».

والحقيقة ان كل كتاب ألفه سعيد منذ «بدايات» وحتى «العالم والنص والناقد» مروراً بـ «الاستشراق»، «وقضية فلسطين»، «وتغطية الاسلام»، اطلق القطة بين الحمائم. فعلى الرغم من مضي ما يقرب من عقد على ظهور كتاب الاستشراق فانه ما يزال يثير حتى اليوم الكثير من النقاشات والمراجعات الغاضبة او المتحمسة. وحسب المرء ان يشير هنا الى ما أثاره من عاصفة على صفحات New York Review of Book، ناهيك عن الترجمات التي تجاوزت العشرله، وهو أمر لم يتح لأي كتاب انتجه عربي في هذا القرن.

لقد ظفرت أعمال ادوارد سعيد باهتمام واسع، وسمت الى مكانة رفيعة تبوأتها بجدارة في الشرق والغرب معاً. ومع ذلك فان الرجل الذي انتجها على غاية من التواضع واللطف. تلقاه فيأسرك ترحابه ولطفه وأدبه الجم، وهو يحسن الاصغاء مثلما يحسن الحديث، و يحترم رأي مخاطبه، يناقشه بكل لباقة وتهذيب، يدفعه أو يقبله، ولكنه يعامله بجد. ولا تغادره الا وانت تشعر بأنك قد كسبت صديق عمر.

ولكن من هو ادوارد سعيد؟

يكتب الصديق الدكتور محمد شاهين استاذ الأدب الانجليزي في الجامعة الاردنية تحت عنوان «الاشراقة العربية في عالم الفكر» ـ ادوارد سعيد: «عربي، مقدسي المنشأ، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في القدس ـ والقاهرة ـ وحصل على شهادة الليسانس من جامعة برنستون، وعلى الماجستير والدكتوراة من جامعة هارفرد، حيث فاز أثناء دراسته الجامعية بجائزة باودن: وهو الآن استاذ كرسي بار للأدبين الانجليزي والمقارن في جامعة كولومبيا في مدينة نيو يورك.

وكان منذ مدة وجيزة استاذاً زائراً للعلوم الانسانية في جامعة جونز هوبكنز، وفي عام ١٩٧٧ اختير لالقاء سلسلة من المحاضرات التكريمية في النقد الأدبي بجامعة برنستون. وفي عام ١٩٨٠ دعي لالقاء سلسلة اخرى من المحاضرات في جامعتي روتجرز وديوك. وفي العادة يقع الاختيار لالقاء هذه المحاضرات في مناسبات معينة، تحتفل فيها الجامعة بذكرى راحل من رجالات الفكر البارزين في العالم. وفي هذا عام (١٩٨٣) اختير من قبل جامعة شيكاغو لالقاء المحاضرات التذكارية لوليم كلارك.

وحصل ادوارد سعيد على أرفع الزمالات العلمية مثل «زمالة العلوم السلوكية» في مركز الدراسات المتقدمة بجامعة ستانفورد عام ١٩٧٥، وزمالة غوغنهايم عام ١٩٨١. وحصل أيضاً على أشهر الجوائز العلمية مثل جائزة العلوم الانسانية بجامعة كاليفورنيا ١٩٨١، وجائزة ليونيل تريلنغ للانسانيات عام ١٩٧٥ (على كتابه بدايات..) التي تمنحها جامعة كولومبيا لأفضل كتاب يقع عليه الاختيار في نطاق العلوم الانسانية. ودعي كذلك لالقاء محاضرات عامة في أكثر من ستين جامعة في أمريكا وكندا وأوربا، فقد استضافته على سبيل المثال أكاديمية العلوم البولندية وجامعة السوربون وجامعة كنت والمجمع الملكي للشؤون الدولية. وهو عضو في الهيئة التنفيذية لمجلس الانسانيات في مدينة نيو يورك، وفي جامعة كولومبيا. وهو محرر مجلة «فصلية الدراسات العربية» التي تصدر في امريكا، وعضو هيئة تحرير في أكثر من خمسين مجلة في العلوم الانسانية في أمريكا وأوربا».

ومعنى هذا اننا عندما نقرأ نتاج ادوارد سعيد، نقرأ حصيلة كل هذه الخبرة المثيرة في سعتها وتنوعها وتميزها، ونقرأ اضافة الى ذلك نتاج الناقد والتزامه بممارسة دوره في العالم الذي يعيش فيه، والتزام العربي بقضية وطنه. فادوارد سعيد من أفصح الأصوات العربية وأجرئها في الغرب، ومن أصدقها وأكثرها تألقاً و بياناً عن هموم شعبه ومآسيه.

والحقيقة ان النقد لدى سعيد فعالية أبعد ما تكون عن الحياد. انه فعالية منحازة لأنها تحاول ان تصل ما بين النص والعالم الذي انجبه. وفوق ذلك ان «الوعي النقدي جزء من عالمه الاجتماعي الفعلي، ومن الجسم الحقيقي الذي يسكنه» (ص١٦). و «النصوص دنيوية، وهي الى درجة ما احداث. وحتى عندما تبدو منكرة لذلك، فانها جزء من العالم الاجتماعي، من الحياة الانسانية، و بالطبع من اللحظات التاريخية التي تتموضع فيها وتفسر» (ص٤). ومعنى هذا ان المقالة هي الشكل الأمثل لدى سعيد في ممارسته لهذه الفعالية الابداعية التي لا تقل شأناً عن الممارسة الابداعية في نظره، فهي السبيل الوحيد للنقد ليتابع انشغاله بالقضايا التي تهم مجتمعه، وليلاحقها ملاحقة الفاعل بها، ما دام قيما على الثمين في هذا المجتمع من مبادىء وقيم وأعراف ونظم، وما دام يسعى الى تطوير نوعية الحياة التي يحياها قومه بشكل خاص والانسان بشكل عام والنهوض بها في مختلف المجالات وعلى كل المستويات.

والكتاب الذي بين أيدينا وهو آخر ما صدر لسعيد هو مجموعة مقالات كتبها صاحبها في السنوات الأثنتي عشرة التي شهدت ظهور كتبه الثلاثة: الاستشراق، وقضية فلسطين وتغطية الاسلام والتي انهمك فيها بالقضايا العامة التي تشغل قومه والمتصلة أساساً بالعلاقة ـ المواجهة الدموية والمتعددة الجوانب والأبعاد ـ بين الشرق والغرب. وهي تمتد على مجال رحب رحابة غير عادية تشير الى سعة افق ناقدنا، والتنوع في دائرة اهتمامه.

وفي حين ان بعضها يعني بقضايا عامة في النظرية الأدبية، كمفاهيم «النقد العلماني» و «العالم» و «النص» «والارتباط» و «التكرار» و «الأصالة» و «النقد الديني» وغيرها فان بعضها الآخر يتفحص أعمالا هامة لعدد من المؤلفين كسو يفت، وجوزيف كونراد، وجورج لوكاتش، واريك اورباخ، وريننان، وشغاب وغيرهم. وذلك اضافة الى دراستيه المتميزتين لوضع النقد الأمريكي في الفترة الأخيرة والمعنونتين بـ «طرق مسلوكة، وغير مسلوكة في النقد المعاصر» و«تأملات في النقد الأدبي الأمريكي اليساري».

يقع الكتاب في مدخل واثني عشر فصلا وخاتمة يجمع ما بينها «وحدة في الموقف والاهتمام»، (ص٢٦). اما المدخل فيناقش فيه موضوع النقد العلماني من خلال اشارة موسعة لكتاب اريك اورباخ النقدي الهام: «المحاكاة: تمثيل الواقع في الأدب الغربي» وغيره من الأعمال النقدية، وذلك بغاية توضيح موقف سعيد نفسه والذي يؤكد على دنيوية النصوص والتصاقها بالعالم الغربي الذي أنجبها، مثلما يؤكد على وظيفة النقد في حفزه للحياة ومعاداة الظلم والسيطرة والتعسف، وحرصه على الحرية الانسانية.

وأما الفصل الأول فيناقش فيه علاقة العالم بالنص ودور الناقد في ايضاح صلتهما هذه مفيداً في ذلك من التراث العربي الأندلسي ـ وخاصة ابن حزم ـ المتصل بخصائص اللغة.

وفي الفصلين الثاني والثالث يناقش سعيد سو يفت فيدرس في الأول منهما «فوضوية سو يفت المحافظ» و يقف في الثاني عند «سو يفت مثقفاً»، في حين يخصص الفصل الرابع «كونراد: تمثيل السرد» وهو روائي أثير لدى سعيد الذي كرس له رسالته لدرجة الدكتوراة والتي نشرها فيما بعد تحت عنوان: جوزيف كونراد والنثر القصصي للسيرة الذاتية.

وفي الفصلين الخامس والسادس ينتقل سعيد لمناقشة مفاهيم هامة في نظرية السرد «التكرار» وفي النقد بشكل عام «الأصالة» و يدلي في أثناء ذلك بآراء على غاية من الأهمية والاثارة ونفاذ البصيرة.

اما الفصلان السابع والثامن فهما مخصصان لدراسة المشهد النقدي المعاصر في امريكا حيث يناقش في أولهما والمعنون بـ «طرق مسلوكة وغير مسلوكة في النقد المعاصر» اتجاهات الفكر النقدي في امريكا من خلال مجموعة من الكتب النقدية الهامة ذات التأثير الواسع هي:

١. النظرية والممارسة الأدبية الأوروبية من علم الظواهر الوجودي الى البنيوية من تحرير فيرنون غراس وتقديمه.

٢. قضايا في النقد الأدبي المعاصر من تحرير غريغوري بوليتا.

٣. النقد الفرنسي الحديث: من بروست الى فاليري، من تحرير جون، ك، سيمون.

٤. المناظرة البنيوية: لغة النقد وعلوم الانسان، من تحرير ريتشارد ماكزي و يوجينو دوناتو.

٥. سرعات التغير: مقالات نقدية من مجلة م.ل.ن من تحرير ريتشاردز ماكزي والتي كان لسعيد نفسه مساهمات هامة في اثنين منها.

اذ ان النقد الأمريكي المعاصر مدين له ولجوناثان كولر في تدجين الفكر البنيوي وما بعد البنيوي وخاصة فكر ميشيل فولكو وجاك ديريدا، وربما كان سعيد يمتاز عن كولر بنظرته الناقدة لكليهما، والتي نجد مثالا صارخاً عليها في الفصل التاسع المعنون بـ «النقد بين الثقافة والنظام» والذي يناقش فيه مفهوم «النصية» لديهما.

اما الفصل الثامن فهو مخصص لمناقشة النقد الأمريكي المعاصر الذي يرى في نفسه نقداً يسارياً تجاه «النقد الجديد» اليميني، وهو محاولة لوضع النقاط على الحروف في مسعى هذا النقد الذي يسير فيما يبدو في طريق مسدود.

وفي الفصل العاشر يناقش سعيد قضية من أبرز قضايا الأدب المقارن هي انتقال النظريات بين مختلف التقاليد الأدبية القومية، وقد ظهرت مقالته هذه بالعربية بترجمة الدكتور

أسعد رزوق في الكرمل في عام ١٩٨٣ مع تعديل طفيف على عنوانها الذي غدا «انتقال النظريات» بدلا من «النظرية المتنقلة».

اما الفصلان الأخيران فهما عودة الى النتاج الاستشراقي لمناقشة جوانب من هذا التقليد الثقافي في أعمال ريموند شغاب ورينان وماسينيون. و يبدو أن هذا الاهتمام ينتقل الى الخاتمة التي تعنى بايضاح مفهوم «النقد الديني» من خلال الإشارة الى تراث الاستشراق.

وهكذا يتضح للقارىء كيف ان هذا الكتاب الهام يكاد يشكل نقطة انطلاق جديدة للنقد المعاصر، وخاصة في توكيده على هذه الصلة الوثيقة بين النص والعالم والتي يكاد النقد الامريكي والاوربي ان ينساها في متاهات سعيه نحو فهم «النصية» و «التناص» او «تفاعل النصوص» وسواهما.

وعلى خلاف الانشاءات النقدية الأخرى المستوحاة من الفكر الأوربي المعاصر (ديريدا وفوكو) فان الانشاء النقدي لدى سعيد يغدو أكثر قوة في استلهامه لعصارة هذا الفكر. صحيح انه يفيد من الماركسية والبنيوية واللغويات والتحليل النفسي، ولكنه يدرك تأثير النظرية المعوق على الممارسة النقدية اذ تجبر الأعمال الأدبية على الاستجابة لمتطلبات النظام متجاهلة ارتباطاتها المعقدة التي تربط ما بين نصوصها والعالم. وهو لهذا يدعو غيره من النقاد الى الابتعاد عن الأنظمة النقدية والعقائد الارثوذكسية المتصلة بالثقافة السائدة في مجتمع معين. انه يدعو، كما يشير الى ذلك ناشر كتابه، «الى حرية الوعي والاستجابة للتاريخ، لضرورات النص، وللقيم الانسانية والسياسية والاجتماعية» انه «يقدم أسئلة جسورة، و يتفحص مشاكل ذات أهمية ملحة، و يعطي معنى جديداً قو ياً ومصقولا لمشروع النقد في المجتمع الحديث». والحقيقة ان الكتاب «يصدر عن نكاء حاد على نحو ملاحظ بحيث يحملنا على مواجهة قضايا وآفاق يفضل أهل النظر في الأدب عامة الا يثيروها» على حد تعبير الناقد الايرلندي المعروف دينيس دونوهو. انه باختصار اسهامة جادة ومحاولة ذات جدوى لتجاوز أشكال النقد التي تسود الثقافة المعاصرة، لأنه يصدر عن ايمان عميق بوظيفة النقد حارساً يقظاً على قيم الانسان ومثله التي تكفل له المستقبل الأفضل الذي ينشده.

الشجرة التي تنمو بالنار

هناك نوع من شجر الصنوبر ينمو في الولايات المتحدة الاميركية الجنوبية، يعتبر أكثر الاشجار الاميركية مقاومة للنار، وهو في الواقع، يدين بوجوده خلال ملايين السنين الى النار. فالنار لا تحرق فقط منافسته سائر انواع الشجر الاخرى وبذورها التحتي، وتفتح لها البقعة السمراء، و يعني الموت المحتم لشجر الصنوبر.

ولما كانت النار ضرورية لحياة واستمرار الصنوبر هذا فان قسم الغابات في وزارة الزراعة الاميركية يطبق الآن سياسة احراق منتظمة لغابات الصنوبر، في فترات ملائمة، تقع غالبا في فصل الشتاء عندما تكون [illegible] وسرعه [illegible] مايكون الحريق ضروريا عندما تكون النبتة الصغيرة قد اصيبت بداء «البقعة السمراء».

الفرغاني

ابو العباس أحمد

فلكي عربي. عاش في عصر المأمون، و يعد واحداً من كبار زمانه. له كتاب «الحركات السماوية»، و «جوامع علم النجوم» الذي ترجم الى اللاتينية (القرن ١٢). وكان أثره كبيراً في نهضة الفلك بأوروبا. قام بتعيين أبعاد وأقطار الكواكب. أشرف على تركيب مقياس النيل بالفسطاط ٨٦١.

جامعة اليرموك

اليرموك

مجلة ثقافية فصلية جامعة

• الجماجم المثقوبة

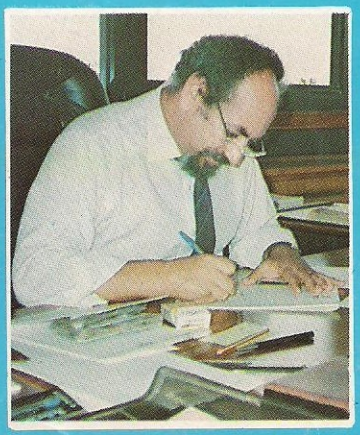

الدكتور سعد الدين ابراهيم لـ اليرموك

• الدّيمقراطيّة في العالم العربي مشكلة وليست أزمة

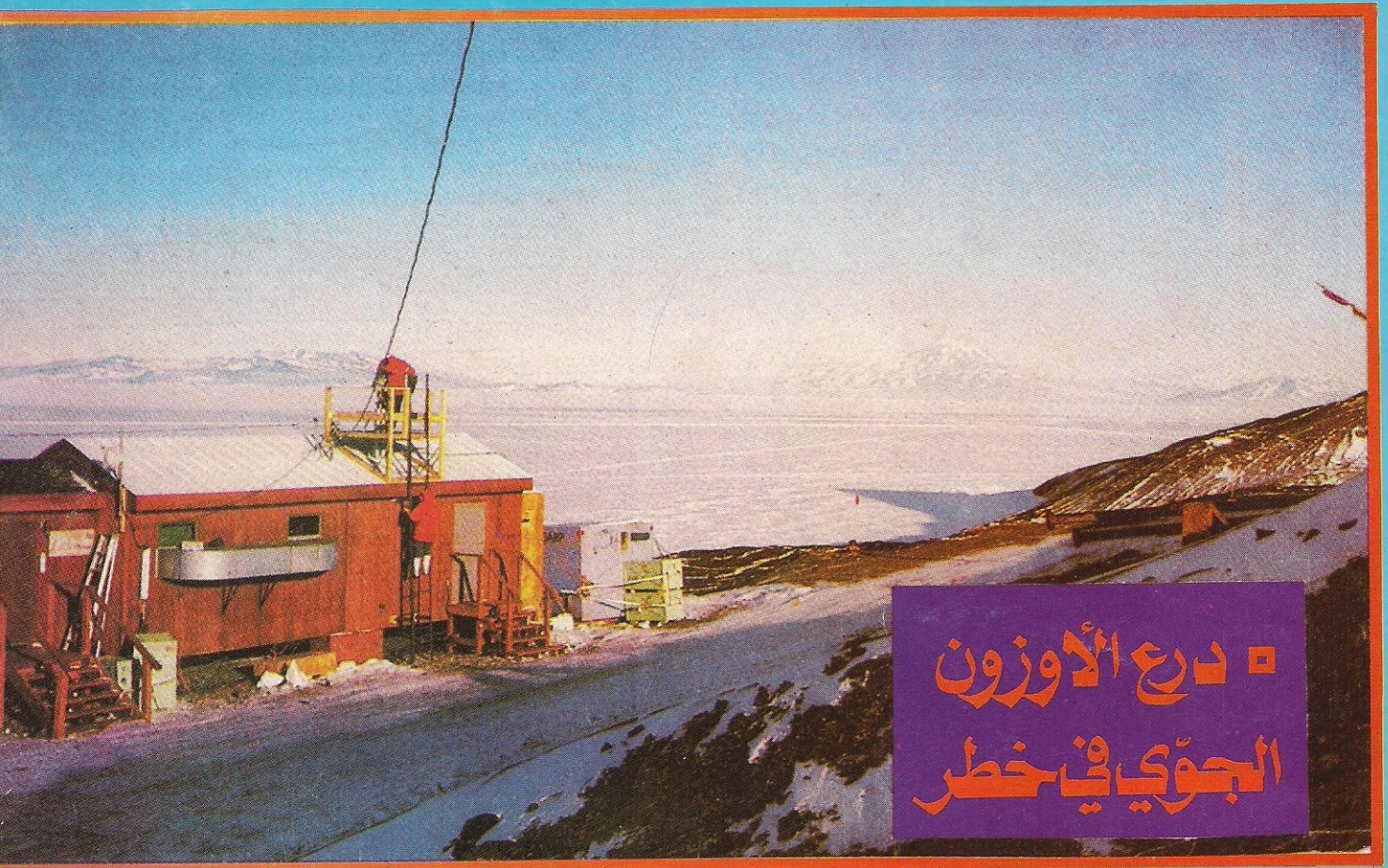

• درع الأوزون الجوّي في خطر

العدد الرابع والعشرون ١٩٨٨